أشعل شمعة بدلا من أن تلعن الظلام

التفاؤل .. روح تبدد عوامل الإحباط وتحفز على الحياة والتفكير والإبداع

تحقيق/ وديع العبسي

منذ بدء الخليقة والحياة لا تسير على وتيرة واحدة وهي من سنن الله سبحانه وتعالى، أن نعيش حيناً الفرح وحيناً الهم والحزن.. حيناً السكينة وحينا تخترق لحظات هدوئنا معكرات تحيل أوقاتنا إلى انشغال في كيفية التجاوز.. وفي كل الأحوال يدعونا ديننا إلى أن لا نقنط من رحمة الله.. يقول تعالى: (فإن مع العسر يسرا. إن مع العسر يسرا) صدق الله العظيم. وفي التكرار تأكيد من الله على أن ضيق الحال أبداً لن يدوم، ما يعني أن على الناس أن ينبذوا من حياتهم اليأس والإحباط أو التشاؤم وأن يكونوا دائماً مع الله ومع التفاؤل.

التفاؤل الواقعي يتخذ من الحاضر دليلاً على المستقبل دون إفراط أو تفريط

في حياتنا هناك اليوم من تجد نفسه سوداوية لا يأمل بغد يمكن أن يأتي بواقع نتجاوز فيه أزماتنا وخلافاتنا ونكون على قلب رجل واحد في حب الأرض وفي الرغبة لعمارها والنهضة بالتالي بواقعنا.. مثل هؤلاء الذين يحاولون أن يشيعوا ما بأنفسهم بين الناس إنما أبسط ما يمكن أن يوصفوا به أنهم ضعيفوا الإيمان وأنهم من يسعون لتخريب الحياة على الآخرين. تجدهم على نحو دائم من التجهم والعبوس وعدم الاعتراف بأي شيء جميل، لا أحلام لهم ولا أماني ولا هدف يسعون لتحقيقه ليقفوا في مكانهم بل وحجر عثرة لتقدم الآخرين.

يقول أحد الشباب "أنبذ التشاؤم من حياتي وأعلم إن التخطيط السليم للمستقبل هو الذي يجعل الإنسان متفائلاً، فالتخطيط يعني أنه له ما يتمنى للمستقبل وهذا الشيء يجعله في حراك دائماً إلى هذا الهدف وكلما مضت خطوة ازدادت لديه الهمة والشعور بالتفاؤل".

ويقول أكرم علي السعدي: في غالب الأحيان أكون على ثقة بأني سأحقق ما أريده للمستقبل بعد الاستعانة بالله طبعاً ودائماً ما كنت أحدد لنفسي أني سأكون في مستوى معين من ترتيب الناجحين في الدراسة وهو ما يحدث لأني استعين بالله وأعمل على أساسه".

وعل عكس الاثنين هناك من الشباب من يفجعك دائماً بقوله إن المستقبل مظلم وانه لا أمل في شيء.

من يصنعون التاريخ

يقول الأكاديمي ناصر بن سليمان إن المتفائلين وحدهم الذين يصنعون التاريخ، ويسودون الأمم، ويقودون الأجيال.. أما اليائسون والمتشائمون، فلم يستطيعوا أن يبنوا الحياة السوية، والسعادة الحقيقية في داخل ذواتهم، فكيف يصنعونها لغيرهم، أو يبشّرون بها سواهم.. ويضيف: إننا بحاجة إلى أن نربي الأمة على التفاؤل الإيجابي، الذي يساهم في تجاوز المرحلة التي تمرّ بها اليوم، مما يشدّ من عضدها، ويثبّت أقدامها في مواجهة أشرس الأعداء، وأقوى الخصوم؛ ليتحقق لها النصر بإذن الله.. ويرى بن سليمان بأن التفاؤل الإيجابي، هو التفاؤل الفعّال، المقرون بالعمل المتعدي حدود الأماني والأحلام، وانه أيضاً أي التفاؤل الإيجابي هو التفاؤل الواقعي الذي يتّخذ من الحاضر دليلاً على المستقبل دون إفراط أو تفريط، أو غلوّ أو جفاء، وانه المبنيّ على الثقة بالله.

الحيوية والتفاؤل

في ثقافتنا اليومية علمنا أمثالاً تفيد بأهمية أن نكون دائماً متفائلين في حياتنا.. فهناك قول "اضحك للدنيا تضحك لك".. ويقول شاعر:

وَالّذِي نَفْسُهُ بِغَيْرِ جَمَالٍ لَا
يَرَى فِي الْحَيَاةِ شَيْئاً جَمِيلا

فيما يقول آخر:

قال السماء كئيبة وتجهما
قلت ابتسم يكفي التجهم في السماء

وفي هذا دعوة دائمة للنظر إلى الشيء الجميل والبحث في ما يمكن أن يجعل النفس دائماً في حالة من الحيوية والتفاؤل، لا اكتفاء الإنسان بما ينزل به من البلاء ومن ثم الخضوع والاستسلام له.. في حديث الأنصاري الذي لزم المسجد متطيراً من كثرة همومه وديونه, أرشده النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى استبدال الرسائل السلبية في حياته برسائل إيجابية, وأن عليه أن يترك اليأس والتشاؤم ويحسن التوكل على الله تعالى, عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يوم الْمسجدَ فَإِذَا هوَ برجل من الأنصار يقالَ له أَبُو أُمَامَةَ فقالَ: "يا أَبَا أُمَامَةَ ما لي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمسجد فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلاَةِ". قَالَ هُمُومٌ لَزِمَتْنِي وَدُيونٌ يا رسولَ الله. قَالَ: أَفَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلاَمًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ". قَالَ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ "قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَال". قَالَ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّي وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي.

"ومن هنا فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبث في نفوس صحابته رضوان الله عليهم روح التفاؤل والجد والإقدام حتى في أحرج الظروف وأشدها وأقساها".

الباعث على الأمل

ترى دراسة بأن التفاؤل يجعل الإنسان يبرمج عقله الباطن على التفكير الإيجابي فينعكس ذلك على إسعاده وزيادة حيويته ونشاطه الذهني والبدني، وأن التفاؤل يشجع الإنسان على الإقدام في الحياة والتفكير بإبداع.. وتخلص الدراسة إلى أن التفاؤل والتشاؤم ينبعان من داخل النفس, فصاحب النفس الصحيحة ينظر إلى الحياة بمنظار مستقيم جليّ, فلا يرى فيها إلا كل جميل باعث على الأمل, وأما صاحب النفس السقيمة فإنه ينظر إلى الحياة بمنظار أسود كئيب , فلا يرى منها إلا كل سيىء باعث على القنوط والتشاؤم واليأس.

تؤكد ذلك البروفسور الفرنسية "أن دو كيرفاسدويه" بالقول: إن التفاؤل وحب الحياة من أهم العوامل التي تساعد الإنسان على المضي قُدماً في الحياة.

البيئة

حول الأسباب يرى الدكتور أحمد حاج واصل الباحث في مؤسسة "إفادة" للتواصل والتنمية بأن البيئة المحيطة بالشخص المتشائم دائماً أو صاحب التفكير التشاؤمي تلعب دوراً هاماً في تكوين شخصية مهزوزة غير واثقة في نفسها وفي المجتمع ككل، وغير مدركة لقدراته وما أودعه الله فيه من المواهب.. ويؤكد الدكتور واصل بأن سماع صيغ التذمر دائماً والتعبير دائماً عن حالات عدم الرضى من الواقع، أو الشطح بالأفكار ومن ثم تحميل الواقع سبب عدم القدرة في تحقيق هذه الأفكار، مثل هذه التصرفات تولد شخصية لا تقدر الحياة الجماعية والعمل الجماعي وتعيش في أفكار غير ما عليه الواقع والمجتمع".

للمتشائمين فقط

نقتبس للمتشائمين من شعر..أحمد مطر قوله:

ادلهمت به الخطوب..أوصدت في وجهه الدروب..يئس من ربه رافع الكروب ..جلس إلى حكيم ليوصيه فقال: إذا جن عليك الليل..

فأوقد نارا.. فإذا انطفأت..أوقد مصباحا.. فإذا انطفأ..أوقد شمعة.. فإذا انطفأت.. فأغمض عينيك وانتظر تباشير الصباح.

في دورة تدريبية

اكساب الفنيين في حضرموت والمهرة وشبوة مهارات مراقبة الأعمال الانشائية للمشاريع

■ ،، المكلا/الثورة/مجدي بازياد

اختتمت بالمكلا أمس فعاليات الدورة التدريبية في مجال تأهيل الفنيين في الأساليب التنفيذية والتعاقدية والتي نظمها الصندوق الاجتماعي للتنمية فرع المكلا بالتعاون مع مشروع الأشغال العامة محور حضرموت، شبوة، المهرة على مدى خمسة أيام.

ويتلقى المشاركون في الدورة وعددهم ٢٧ مشاركاً من محافظات حضرموت وشبوة والمهرة معارف ومهارات حول مراقبة الأعمال الإنشائية للمشاريع لدى التنفيذ وأبرز الشروط والمعايير المطلوبة.

وفي حفل الاختتام أكد عضو الهيئة الإدارية للمجلس المحلي رئيس لجنة الشئون الاجتماعية الدكتور عبدالباقي الحوثري أهمية انعقاد مثل هذه الدورات التنشيطية لمهارات وخبرات الفنيين وتطوير قدراتهم بما يمكنهم من تشكيل كيان خاص بهم في ظل متطلبات المحافظة في مجالات تنموية وخدمية عدة.

ودعا الحوثري الفنيين إلى خلق علاقة جيدة بينهم والمهندسين والعاملين في قطاعات الإنشاء والمساهمة في أعمال التنمية وخلق أجواء من المرونة والتفاهم ومتابعة أية اختلالات قد تؤدي إلى أخطاء قد لاتحمد عقباها في مجال تنفيذ الأعمال الإنشائية ومواكبة التطور الذي يشهده العالم في أعمال التصميم عبر برامج الكمبيوتر والإنترنت، ونشر المعلومة التي ستسهم في تطوير عمل الفنيين.

وأشاد الدكتور الحوثري بجهود الصندوق الاجتماعي للتنمية ومشروع الأشغال العامة في تنفيذ عدد من المشاريع الإنمائية والخدمية في مختلف المحافظات وتزويد العديد من الكوادر في مختلف مواقع العمل والإنتاج بمهارات تواكب مايشهده سوق العمل من تطور وتجديد.

بدوره استعرض المهندس محمد محمد الديلمي المدير التنفيذي للصندوق الاجتماعي للتنمية فرع المكلا أبرز النتائج التي خلصت إليها الدورة وشدد على علاقة تكاملية بين الفنيين والمهندسين والعاملين في المهن المتصلة بمجال المشاريع الإنشائية.. داعيا إلى اكتساب المزيد من المهارات والتعرف على الجديد في هذا المجال، وأكد الديلمي استعداد الصندوق لتطوير مهارات الفنيين وتوسيع مداركهم وتلبية احتياجاتهم في مجال التدريب والتأهيل وكذا الدفاع عن حقوقهم، مشددا على ضرورة استكمال الأعمال الإنشائية بالمواصفات والمقاييس المطلوبة بعيدا عن أعمال الغش والتسرع في الإنجاز لما لذلك من آثار مستقبلية قد تكون كارثية.

وجرى في ختام الحفل الذي حضره المهندس عبدالرحيم عمر حوري مدير مشروع الأشغال العامة محور حضرموت شبوة المهرة والمهندس محمد عبود بوعسكر المدير العام لمكتب وزارة التعليم الفني والتدريب المهني بساحل حضرموت، ومنى العمودي ضابطة التدريب والدعم المؤسسي تكريم المتدربين بشهادات تقديرية.